

لم يقل شيئاً قبل الرحيل. حزم أمتعته في غفلة عن البيت، تنبهت فاطمة إلى غياب سليم المفاجئ، لكنها لم تقم بأية إجراءات تخص التلميح أو التصريح، مختلقة لرحيل أبيهم المفاجئ أعذاراً متعدّدة، بالإضافة إلى جنين في أشهره الأولى . أوحى احتج على مجيئها. بعد عام ونيف من الضنك والعذاب أمضته فاطمة متنقلة بين هنا وهناك في السؤال والتقصي . عرفت أخيراً مكانه وعرفت أنه قد غادر القطر، ولن يعود إلى الوطن أبداً . ذرفت دموعاً مألحة كملوحة أيامها المقبلة. حاولت أن تتعرف على سبب واحد لهجرانه لها، بدأت رحلة الهموم بالنسبة إليها، إذ استنجدت بالأقارب فلم يجدوها " ولجأت إلى الأصدقاء والمعارف، وكان عملها أول الأمر يتوزع ما بين الخدمة في بيوت الناس صباحاً، وما بين صناعة بعض المعجنات لأحد مخازن الحلويات مساء . ثم استقرّ حالها بعد ذلك على القيام بمهنة كانت قد تعلّمتها منذ صغرها، فقد ملكت مقدرة مزاوله هذه المهنة، وراحت تخطط للآخرين بالأجرة. لم يكن الوضع سهلاً أو مريحاً في بدايته، فقد أعانها على خوض مرحلتها الجديدة، لتصبح بعد زمن من العمل الدؤوب المستمر، إسماعيل معروفاً في عالم الحياكة والتطريز، وبدأت أحوالها المادية تتغير، وأمور أسرتها تنتقل من الحزن إلى الأمل. حمدت الله وشكرته على نعمته وفضله ورحمته التي شملها بها، وفرّج كربتها بعد نضال مع الزمن دام سبعة عشر عاماً، وتوصلهم إلى وضع حياتي مقبول . أمّا الأب فقد قلّت أخباره وندرت حتى انقطعت تماماً، طرق الباب فيه على عجل، وكان الطارق برقية تقول: " سأتي بعد أسبوع " سكنت عن الكلام، ولجمت لسانها الدهشة حين قرأت التوقيع . ولماذا ؟ بدأ لسانها يتمتم، وماذا ينبغي منه ؟ بقيت الأم على شرودها ساهمة، واجمة، وبأية صفة تستقبل ذاك الذي هجرها عمراً بحاله، رجع، ينخر السوس عظامه،